أيمان العرب في الجاهلية

صناعة أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله النجيرمي الكاتب

نقلاً عن نسخي الخزانة التيمورية (٣٦٢ لغة) ودار الكتب المصرية (٢٣٤ مجاميع)

﴿ باب آخر ﴾

وأما عبدة الاوثان فانهم كانوا يقسمون بها ، كقولهم « لا واللات والعزّى [1]، لا ومناة »

وربما أقسموا بما يعتبر لها [2] . وقد فرغ ابن الكلبي من أسماء الاصنام في كتاب الاصنام [3] ، فأغنى ذكر ذلك ها هنا

وقد أقسمت العرب بالماء والسماء والنجوم . كقولهم « لا والسماء ،لا والماء ، لا والآيبات ، لا والطارقات ، لا والزاكمات » وكقولهم « لا والسابحات» السابحات النجوم . ومنه قول الله تعالى « وكلٌ في فلك يسبحون » . والآيبات النجوم اذا تصوّبت للمغيب ، يقال منه آب النجم . والطارقات النجوم اذا طرقت أي طلعت . والزاكمات اذا زالت عن كبد السماء

« لا ونفنف اللُوح ، والماء المسفوح ، والفضاء المندوح ، والنور الموجوح » أي المحجوب . النفنف ها هنا ما بين السماء والارض وكل هواء بين رأس جبل الى أسفله فهو كذلك . واللُوح الهواء بين السماء والارض ، وأضاف النفنف

(١) في صبح الاعشى (١٣ : ٢٠٣) ان اكثر حلف عرب الحجاز كان باللات والعزّى

(٢) قال ابن الاثير في النهاية : كان الرجل من العرب ينذر النذر يقول اذا كان كذا وكذا ، أو بلغ نتاؤه كذا فعليه ان يذبح من كل عشرة منها في رجب كذا . وكانوا يسمونها العتائر وقد عتر يعتر عترا اذا ذبح العتيرة . وهكذا كان في صدر الاسلام وأوله ثم نسخ . قال الخطابي : العتيرة تفسيرها في الحديث أنها شاة تذبح في رجب . . . أما العتيرة التي كانت تعترها الجاهلية فهي الذبيحة التي كانت تذبح للاصنام فيصبّ دمها على رأسها

(٣) هي الاستاذ العلامة أحمد زكي باشا بتصحيح كتاب الاصنام لابن الكلبي وتحقيقه والتعليق عليه . وسيصدر قريبا من مطبعة دار الكتب المصرية

اليه . والمسفوح المصبوب .وعنى به البحر . والفضاء يعنى الارض . والمندوح الموسع . وكانهم عظّموا هذه الاشياء لأن بها قوام العالم

﴿ باب آخر ﴾

يقولون « قسماً لأفعلنّ ذاك ، ويميناً ، وألية ، ونحباً . وعهداً ، ونذراً ، وموثقاً ، وميثاقاً ، وحقاً [1] ، ولحقّاً ، ولميناً ، ولقسماً » . وقال آخرون « لحقّ لأفعل » يرفعون بغير تنوين مع اللام [2] . والنحب النذر . وأنشد :

قضيتَ نحباً وجعلتَ نذرا [3]

والإصر العهد . ومن أيمانهم « بإصر وأصر ليكوننّ ذاك » وأنشد :

باصر يتركني الحي يوماً رهينة دارهم وهم سراعُ

ومعنى إصر : حَتْم لازم . كما قال يلزم العهد وكما يلزم اصرة الرحم . ومنه الاصر الثقل لأن اللازم الواجب يثقل كأنه قال : حقاً ليتركني الحي . ومنه قوله : فان اكبر فلا بأطير اصر يفارق عاتقي ذكرٌ خشيبُ

أطيرُ : فعيل من أطرَه يأطره أطراً إذا عطفه والمعنى ان عليّ اصراً يعطفني على أن لا افارق هذا السيف . وهذا كقولك أقسمت انما وقع علي الفراق فصار الفراق منفياً

والالُّ : العهد ، وهو أيضاً من أسماء الله تعالى . وهو الرحم أيضاً . ويوشك أن يكون انما اشتمل على هذه المعاني الثلاثة ، لان العهد سبب منوط بسبب الله عز وجل ، ولأن الرحم شجنة من الله عزّ وجلّ . ومعنى شجنة من الله سبب منوط من الله عز وجل [4]

---

(١) في الاصلين حنفاً ولم أجد له معنى وجيها (٢) المزهر ٢ : ١٦٨ والمخصص ١٣ : ١١٦ (٣) قولهم قضى نحبه كأنه ألزم نفسه أن يقاتل حتى يموت

(٤) الشجنة : الشعبة من كل شيء . يقال بينهما شجنة رحم ، كأنها حبل من حبال صلته

﴿ باب ﴾

قال أبو عبيدة : « أوذَمَ فلان يميناً » اذا أوجب على نفسه يميناً . وأوذم فلان بالحج ، وأوذم بحجة كأنه ناط على نفسه بحجة كأنياط أوذام الدلو[1]

وكذلك « أبدعَ يميناً ، وأبدع بالحج ، وبحجة » أوجبها على نفسه

وقال ابن الاعرابي : « لاوالذى أكتعُ له » أى أحلف به . ومعنى أكتع أوكد لانه وكَّد قوله بيمين من قولهم أجمعون اكتعون

أبو عبيدة « جير[2] » فى الايجاب بمعنى نعم وأجل . ويمين أيناً . وقالوا « لاجير » بمعنى جير كما قالوا : لا أقسم

الكسائى : عَوْضَ وعَوْضُ[3] . الاموىّ : عوضَ ومن ذى عوضَ . وقال أبو عمرو عوض من اسماء الدهر ، فكثر فى كلامهم حتى حلفوا به

ومن أيمانهم « لا وجدِّك » أقسم بجده الذي هو حظه[4] كما يقسم بعمره اذا قال « لعمرك » وكما تقول « وعيشك » . فاذا قال « أجدَّك » بمعنى أتجدُّ أنت كانه قال أتجدُّ جداً فى هذا القول ، فاضاف اليه الجد وخرج عن باب اليمين

وقالوا « صبَره يميناً يصبرُه صبراً » والصبر الحبس ، كانه حبسه عنها[5]

وقالوا « ألَته يميناً يألته ألتاً » ومنه قول الله تعالى « لا يألتكم عن أعمالكم شيئاً » أى لا يحبس ولا يؤخر

وقالوا « حلف بالفَنُوس[6] » أى بيمين تغمسه فى الاثم

---

(١) أوذم السقاء اذا شده بالوذمة وهو السير

(٢) المزهر ٢ : ١٦٨ والغالي ٣ : ٥٢ والمخصص ١٣ : ١١٦ .

(٣) المخصص ١٣ : ١١٦ . ولايزالون في دمشق يقسمون بالحظ فيقول احدهم «بحظي»

(٤) المخصص ١٣ . ١١٦

(٥) المخصص (١٣ : ١١٦) . وقال الخطيب الشربيني في تفسيره : اليمين الغموس هي ان يحلف على أمر ماض أنه كان ولم يكن . وفي محاضرات الراغب (١ : ٢٩٨) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « اليمين الغموس تدع الديار بلاقع »

وقالوا « لا خير فى يمين لا تخارم لها » أى لا مخارج لها . والمخرم منقطع أنف الجبل ، وهو الطريق فيه فشبّهوا التأوّل فى المخلص من اليمين به . ويوشك ان يكون انما خصّوا المخرم لانهم شبهوا اليمين بالجبل استثقالا لها فسمّوا مجازها بمجاز الجبل

وقالوا « يمين جلواء ، وحلفة جلواء ، وبينة جلواء » أى ينجلي بها الحق وينكشف . وأنشد :

لكل أمر واقع أحناه شهادة أو حلفة جلواء

به تقوم الارض والسماء وكل شيء غير ذا عداء

وأحناه الامر أراد به أركانه ، أخذ من أحناء الرحل ، الواحد حنو . والعداء الظلم . والمعنى ان كل شيء مرتفع فيه تنازع فهذه سبيله . قال زهير :

فان الحقّ مقطعه ثلاث : يمينٌ أو نفار أو جلاء [1]

فاليمين معروفة ، والنفار المنافرة الى الحكام وهى المحاكمة اليهم ليفصلوا بالحق ، والجلاء البينة التى تجلو الشك والشبهة فتغني عن اليمين وعن التحاكم . واذا حلف الرجل قالوا له : جلا أبو فلان ، وتحلّلْ ابا فلان [2] أي استثن [3] أى قل ان شاء الله . وربما قالوا ذلك على سبيل الاستعطاف للحالف والرفق به .

(١) كان عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه يعجب من حسن هذا التقسيم ويردد بيت زهير من التعجب . ورووا عنه أنه قال : لو ادركته لوليته القضاء لمعرفته بما تثبت به الحقوق . انظر البيان والتبيين ١ : ١٣٥ والصناعتين ٢٦٨ والعمدة ١ : ٣٠ وشرح بانت سعاد لابن هشام ١٦ (مصر سنة ١٣٢١) وغيرها

(٢) فى الاصلين « وتحدل أبا فلان » وصححته من قول الراغب في المحاضرات (١ : ٣٠٠) : كانت العرب تسمى الاستثناء في اليمين « التحليل » . قال الشاعر :

تحلل أبيت اللعن فى قول آثم

وقال : واذا حلفت مماريا فتحلل

وقال تعالى « تحلة أيمانكم »

(٣) ومن هنا سموها « المثنوية » المخصص (١٣ : ١١٥) . وفي محاضرات الراغب (١ : ٣٠٠) عن النابغة : حلفت يمينا غير ذي مثنوية

وربما قالوا على سبيل الهزء منه

ويقال « حلف حلفاً ، وحلفة واحدة »

وقالوا « أقسم بالله » وأصله أنه وصل بالله تعالى الى قسم من الاقسام حلف به ، ثم كثر هذا واتسع . والقسم مذكر ، يقولون « اقسم بالله قسماً صادقاً ، وقسماً باراً »

وقالوا « آلى يؤلى ايلاء[1] »

وأصل « اليمين » أنهم كانوا اذا تحالفوا وتعاقدوا تصافقوا بأيمانهم ، ولذلك قيل « أعطاه صفقة يمينه على هذا الامر[2] » ثم سمي الحلف يميناً على ذلك المعنى . وأنثوا اليمين على تأنيث اليد فقالوا « حلف يميناً برّةً ، ويميناً فاجرة »

قال أبو عبيدة : كانوا في الجاهلية الأولى اذا تحالفوا وتعاهدوا أوقدوا ناراً ودنوا منها حتى تكاد تحرقهم ، وعدّدوا منافع النار ودعوا على ناقض تلك اليمين ، والناكث لذلك العهد ، بحرمان تلك المنافع ، ويتصافحون عندها ويقولون « الدم الدم ، والهدم الهدم[3] » والمعنى دماؤنا دماؤكم وهدمنا هدمكم ، والهدم اسم البناء المهدوم ، أي فما هدم لكم من بناء أو شان فقد هدم لنا وما أريق لكم من دم فقد أريق لنا ، يلزمنا من نصرتكم ما يلزمنا من نصرة أنفسنا . وعبّروا على استعمال ذلك يتوارثونه الى ان أتى الله تعالى بالاسلام ، وكان الحلف بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الانصار فقال صلوات الله وسلامه عليه لهم « الدم الدم والهدم الهدم »

وكانوا يقولون « عهدا لا يزيده طلوع الشمس إلا شدّاً ، وطول[4] الليالي إلا مدّاً »

---

(١) انظر ص ٢٤١ (٢) النهاية لابن الاثير (صفق)

(٣) النهاية لابن الاثير (هدم) والحيوان للجاحظ (٤ : ١٥٠) ولسان العرب (هدم)

(٤) في الاصل « وطلوع » وصححته من الحيوان (٤ : ١٥٠)

و « ما بلّ بحرٌ صوفة [١] » و « ما أقلّ رَضْوَى [٢] »

وربما دنوا من النار حتى تكاد تحشهم [٣] ، أو تكاد تحرقهم . ويهولون بها على من يستخف بحقوقها ، ويتوعّدونه بحرمان منافعها ومرافقها [٤] ، وفى ذلك نكد العيش وحرمان الحياة

ويسمون الرجل القيم بأمر تلك النار « المهوِّل » [٥] وقد ذكرته الشعراء . قال الكميت :

كهولة ما أوقد المحلفون لدى الحالفين وما هوّلوا [٦]

[و] قال أوس [بن حجر] وذكر عَيْراً قائماً فوق نشز :

اذا استقبلته الشمس صدّ بوجهه كما صدّ عن نار المهوِّل حالفُ [٧]

وكان من شأنهم اذا تحالفوا أن يغمسوا أيديهم فى الدم ، وما زالوا على ذلك الى أن كان الحلف الواقع مشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حلف المطيّبين وحديثه معروف [٨]

وكانوا ربما تعاقدوا وتعاهدوا على الملح . والملح عندهم شيئان : ملح الادام التى يتملح بها ، واللبن . وذلك أنه سواء عندهم [أن يجتمعوا على طعام وملح ، أو على شرب لبن . هذا عندهم [٩]] مملحة . ولذلك سموا اللبن ملحاً فقالوا من البابين جميعاً « بيننا ملح » وعلى هذا قال أبو الطمحان القينى :

---

(١) فى تاج العروس : وصوفة البحر على شكل هذا الصوف الحيوانى . ومن الابديات قولهم « لا آتيك مابل البحر صوفة » حكاه الصغانى

(٢) الحيوان ٤ : ١٠٠ . ورضوى جبل بين المدينة وينبع (٣) الحيوان (٤ : ١٠٠) والمخصص (١٣ : ١١٠) والنهاية ولسان العرب وتاج العروس وغيرها

(٤) المخصص ١٣ : ١١٠ (٥) الحيوان ٤ : ١٠٠

(٦) محاضرات الراغب (١ : ٣٠٢) والبيان والتبيين (٣ : ١) والحيوان (٤ : ١٠٠)

(٧) البيان والتبيين (٣ : ١)

(٨) النهاية لابن الاثير (مادتا حمس ، وطيب) (٩) الزيادة من التيمورية

وانى لأرجو ملحها فى بطونكم وما بسطت من جلد أشعث أغبرا (١)

أي سمنتهم هذه الالبان بعد الهزال . وقال شتيم بن خُويلد :

لا يبعد الله رب العباد والملح ما ولدت خالده (١)

وأما كهان العرب فانهم كانوا يقسمون بالسماء والماء ، والارض والهواء ، والنور والضياء ، والظلمة ، وبغير ذلك مما هو موجود في أخبارهم ، كما أقسم سواد بن قارب الدوسى : « أقسمُ باضياء والحَلَك ، والشروق والدَّلَكْ (٢) » وهى كثيرة موجودة في كتب أخبارهم

﴿ باب ﴾

يقال آلى فلان يؤلي إيلاء . قال : والاسم الالية . فاذا قيل آلى يفعل ، وآليت أفعل ، فهو قسَم على ترك الفعل ، لأن اليمين بمنزلة النفى للفعل حتى يأتى باللام التى هى آلة للقسم ، كقولك آليت لافعلن . وكذلك قولك والله أفعل وأقسمت أفعل . وهذا مما يغالَط به ويجوز على كثير من الناس . وعلى هذا قول المتلمس :

آليت حَبَّ العراق الدهرَ أطعمه والحبُّ يأكله فى القرية السوسُ

هذا آخر ﴿ أيمان العرب ﴾

والحمد لله وحده ، وصلاته على خيرته من خلقه

سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا

(١) الحيوان للجاحظ (٤ : ١٥١) (٢) محاضرات الراغب (١ : ٣٠٢)

﴿ اليمين الرقيقة ﴾

قال عبدُ الله بن المعتزّ العباسي : بودّي لو أن لي بيتَ الخَثْعَمِيّ بألف بيت :

وآلت يميناً كالزُّجاج رقيقةً وما حلفتْ إلا لتحنَثَ من أجلي